الفصل الثاني

القرآن ومعجزاته وآياته

القرآن معجزاته وآياته

القرآن كتاب المسلمين الإلهى الذى أنزل الله به جبريل على رسوله محمد منذ سنّ الأربعين بليلة القَدْر من شهر رمضان، وأخذ جبريل ينزل به منجماً أو مفرقا حسب الأحداث والوقائع طوال ثلاثة وعشرين عاما. ولم يرسله الله للعرب وحدهم، بل أرسله أيضا لأهل الكتاب والوثنيين فى العالم عامة، أما العرب فلنشر تعاليم الإسلام فيهم، وأما أهل الكتاب فلتصحيح عقيدتهم، وأما الوثنيون فللإيمان بالله ووحدانيته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، ووضع لهم جميعا الكون بسمائه وكواكبه وأرضه بزروعها ليتأملوا فى نظامه وسننه ويتدبَّروا قوانينه الكونية، ويلفتهم إلى ما أودع فيه من الجمال والبهاء مما يغذى أرواحهم جميعا غذاء جماليا باهرا.

وقد أودع الله القرآن ما يُصلح به الفرد سلوكه من بر الوالدين والأقارب والأمانة والوفاء وأداء عبادة الله وفروضه الدينية وانتفاعه بنعمة العقل وإبطاله للخرافة والسحر والكهانة، وأخذه بجميع الفضائل. كما أودعه ما يُصلح به حياة الجماعات الإنسانية من الحرية الدينية وما يرتبط بها من التسامح والأخذ بالشورى فى الحكم والديمقراطية وبالإخاء الصادق وحقوق المرأة والمساواة التامة، والرحمة بالإنسان والحيوان، وحسن التكافل مع الأفراد والجماعة فى السلم والحرب.

ومرت بنا فى الفصل الماضى معجزات الرسل وجميعها معجزات حسية تُرى بالبصر، مثل عصا موسى ويده البيضاء ومثل طوفان نوح ونار إبراهيم وبرء عيسى للأبْرص والأعمى. والقرآن ليس معجزة حسية، وإنما هو آيات ومعجزات

معنوية من الكلم، وكأنما أراد الله – ولا راد لمشيئته – أن يكون إعجاز القرآن على لسان محمد إعجازًا عقليًا لا يدركه الحس وإنما يدركه العقل كما قال الله لرسوله: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[1] من القرآن الكريم، والله بذلك يجعل سماع المشرك للقرآن حجة عليه، وهى حجة تتضمن إعجازه – ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[2] أى آيات حسية مثل آيات موسى وعيسى التى كانت تشاهد بالعين المبصرة ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ ﴾[2] أى الحسية ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[3] فأنبأ – جل شأنه – أن الكتاب وهو القرآن – تتلى عليهم آياته قائم مقام آيات الرسل السابقين الحسية، وهى آيات عقلية تؤثر فى العقل بأوسع مما تؤثر به الآيات الحسية، وكأنما أراد الله أن تكون آيات القرآن المعجزة، الشاهدة على صدق رسالته، عقلية حتى تخلد على مر الأزمنة إلى يوم القيامة، بينما كانت معجزات الرسل السابقين معجزات حسية انتهت بانتهاء عصورهم فلم يشاهدها إلا من حضروها. أما القرآن فإعجازه مستمر إلى يوم القيامة.

وتحدَّى الله العرب مرارا بأنهم لا يستطيعون أن يحاكوه أو يقلدوه، وكانوا يقولون للرسول إن ما تتلوه علينا من القرآن حديث مفترى، ودافع الله عنه فى سورة هود قائلا: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٣ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾[4] والله – جل شأنه – يتحدى هؤلاء المنكرين إذ يطلب منهم أن

---

(١) سورة التوبة الآية ٦.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥٠.

(٣) سورة العنكبوت الآيتان ٥٠ ، ٥١.

(٤) سورة هود الآيتان ١٣ ، ١٤.

يصوغوا على مثاله عشر سور مفتراة، فإن لم يستطيعوا تبين بطلان افترائهم، ثم تحداهم أن يستطيعوا صنع سورة واحدة مفتراة، وليدعوا مَنْ يظنون أنهم يستطيعون ذلك كما جاء فى سورة يونس، وباءوا بعجز واضح كما عجزوا إزاء آية سورة هود. ثم تحداهم - عز سلطانه - فى سورة البقرة أن يأتوا بسورة واحدة من مثله وأن يدعوا من يستطيع مساعدتهم فى ذلك وأنذرهم إنذارا شديدا قائلا:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

وكان المشركون حريصين حرصا شديدا على معارضته، وبينهم شعراء مبدعون وخطباء بارعون، ولهم القصيد العجيب والرجز المصيب والخطب الطوال والقصار البليغة ولهم الأسجاع والمزدوج والمنثور، وهم من أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة، غير أنهم عجزوا عجزا تاما عن أن يأتوا بكلام يماثله أو يشبهه، وسجل الله عجزهم قائلا:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[2]

---

(١) سورة البقرة الآيتان ٢٣ ، ٢٤.

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٨ .

أسماء القرآن

للقرآن أسماء متعددة فيه أوصلها بعض العلماء – كما جاء فى كتاب الإتقان للسيوطى – إلى خمسة وخمسين اسما، وحين نقرؤها نجده حشد فيها كل ما جاء فى القرآن من صفاته مثل نور وهدى ورحمة وشفاء ومبارك وعلى وحكيم ومهيمن ومصدق وحبل وفصل ومثان وبيان وعلم وعجب وبشرى ومجيد وبشير ونذير إلى غير ذلك من صفات وصف الله بها القرآن، وليست أسماء، وأسماؤه المكررة لا تتجاوز سبعة ألفاظ، وهى القرآن والفرقان والكتاب والوحى والتنزيل والذكر وكلام الله .

والقرآن اسمه الأشهر، وهو فى الأصل مصدر من قرأ مثل غفران وشكران سمّى الله به كتابه المنزل على رسوله وأصبح علما دالا عليه . وجاء فى لفظه: قران بتسهيل همزته وتخفيفها بنقل حركة الهمزة إلى الراء الساكنة قبلها، وذهبت جماعة فى نطقه "قرَان" إلى أنه من "قرن" فالنون فيه أصلية. وسمى قُرآنا لأنه يقرن الآيات ويجمعها بعضها إلى بعض. ويرجح أن همزة قرآن أصلية أن جمهور القراء يقرءونه بهمزة أصلية كما فى قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾[1] وقرأه ابن كثير وحده: (وقُرانا) بتخفيف الهمزة وتسهيلها على أنه مشتق من "قرن" والهمزة فيه غير أصلية، والقرآن أشهر أسمائه المتداولة بين الناس منذ نزوله.

والفرقان مصدر مثل القرآن، جعله الله اسما ثانيا للقرآن فى قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[2] وسمى به سورة من

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٠٦.

(٢) سورة آل عمران الآيتان ٣ ، ٤.

سور القرآن افتتحها بقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[1] وهو فرقان لأنه فارق بين الحق الإلهى والباطل من عقائد الوثنيين والمشركين وبما يصور من توحيد الله وصفاته الربانية وتعاليم شريعته الإسلامية.

والكتاب أصله اسم جنس يطلق على كل كتاب، وأل فيه للعهد أى الكتاب المعهود بينكم وهو القرآن القائل فيه ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[2] كما قال فيه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾[3] وتعنى تسمية الله له بالكتاب معنيين أولهما أن أتباعه من المسلمين سيتناقلونه عن طريق كتابته فى مصاحف، وثانيهما أنه كتاب مثل كتابى التوراة والإنجيل يجمع تعاليم الشريعة الإسلامية، كما تجمعان شريعتى اليهود والمسيحية.

والوحى سماه الله به فى مثل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾[4] أى بما يوحى إلىَّ من القرآن على لسان جبريل، وكأن الله سمّاه بصورة الأداء التى كان يتلقاه بها الرسول عن جبريل، وكُلِّف بأن يؤديه إلى الناس أداء سليما بصيغته وجميع حروفه وحركاته. وتقديرا من الرسول لمسئوليته إزاء إيصاله إلى المسلمين إيصالا دقيقا رتَّب له كتَّابا كانوا يكتبونه بمجرد نزول آياته على الرسول لا ينقصون منها ولا يزيدون فيها حرفا.

والتنزيل سماه الله به فى القرآن مرارا كما فى قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[5] وهو تنزيل لأنه نزل

---

(١) سورة الفرقان الآية ١.
(٢) سورة البقرة الآية ٢.
(٣) سورة الكهف الآية ١.
(٤) سورة الأنبياء الآية ٤٥.
(٥) سورة فصلت الآيتان ٢ ، ٣.

من السماء يحمله جبريل إلى رسول رب العالمين لينذر به الناس وينقذهم مما هم فيه من الضلال إلى هدى رب الوجود .

والذكر سماه الله به كما في قوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[1] وقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[2] فهو ذكر للناس بما ينبغي عليهم من العقيدة الإسلامية السديدة، ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3] فالله لم ينزل القرآن فحسب، وإنما نزّله على رسوله، وكتب له الخلود والحفظ على مدى العصور إلى يوم الدين.

واسم القرآن السابع المذكور فيه أنه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويقول مخاطبا رسوله: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[4] ويتدبره تدبرا دقيقا ويؤثر في فكره ووجدانه تأثيرا يدفعه إلى الإيمان به وبرسوله.

ولما جمع أبو بكر القرآن بمشورة عمر، واجتمعت لديه سوره وصحفها قالوا ما الاسم الذى نختاره لصحفه مجموعة من أولها إلى آخرها قال قائل نسميه الإنجيل، فكرهوا ذلك حتى لا تختلط صحفه بصحف الإنجيل، وقال قائل نسميه السفر كما يسمى اليهود التوراة وكرهوا ذلك، وقالوا إن التوراة مسماة به في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾[5] وهما اسمان من أسمائه، وقال ابن مسعود: رأيتهم في الحبشة يسمون الكتاب المصحف، فاتفقوا على تسمية صحفه المكتوبة باسم المصحف . وشاع هذا الاسم لصحفه مجموعة.

---

(١) سورة الزخرف الآية ٤٤.
(٢) سورة النحل الآية ٤٤.
(٣) سورة الحجر الآية ٩.
(٤) سورة التوبة الآية ٦.
(٥) سورة البقرة الآية ٥٣.

سور القرآن

سُوَر: جمع سورة، وهى قطعة خاصة من القرآن لها بَدْء وخاتمة، وهى إما منقولة عن سور المدينة المحيط بجميع منازلها وأضيفت إليها التاء تأكيدا لعلميتها ودلالتها عل ما تحيط به من آيات القرآن، وإما منقولة عن لفظة السُّؤْر بالهمزة، وهو بقية الشراب فى الكوب. وخُفف السُّؤْر فسهِّلت همزته ومُدت ضمة السين وأضيفت إليه التاء، فأصبح سورة. والرأى الأول أولى .

وسور القرآن مائة وأربع عشرة سورة، ومنها طوال وقصار ومتوسطة وأولها سورة الفاتحة وآخرها سورة الناس، وتطول حتى تبلغ مائتين وستا وثمانين آية كما فى سورة البقرة، وتقصر حتى تصبح ثلاث آيات كما فى سورة الكوثر. والطول والقصر فى السور إنما هو فى عدد الآيات لا عدد الكلمات والحروف. ونزلت أكثر السور بمكة التى ظل الرسول يدعو الناس فيها ثلاث عشرة سنة إلى دينه الحنيف وانتقل منها إلى المدينة، وظل القرآن ينزل عليه فيها طوال عشر سنوات إلى أن لبّى نداء ربه. وتمتزج فى بعض السور آيات مكية بأخرى مدنية.

والسور المدنية أكثر طولا من السور المكية، ولا تختلف عنها من حيث الطول فحسب، بل تختلف أيضا من حيث الموضوعات التى تتناولها، فالسور المكية تدعو إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام والأوثان، كما تدعو إلى الإيمان بالكتب السماوية جميعا وبالملائكة وبالبعث والحساب، فمن يعمل صالحا فله الجنة فى المآب ومن يعمل شراً فله النار خالدا فيها. وفى أثناء ذلك تتوالى المواعظ وقصص الأمم الماضية للعبرة والحث على الأخلاق الكريمة والتأمل فى الكون تأملا يفضى إلى الإيمان بالله ووحدانيته. بينما السور المدنية تتناول التشريع الدينى والاجتماعى بكل ما يتصل بنظام الأسرة من مثل بر الوالدين

والميراث والزواج وكل ما يتصل بالمجتمع وعلاقات الإخاء والمساواة فيه والزكاة وتحرير الرقيق وعلاقات البيع والشراء والرهن والدين، مع بيان الحلال والحرام وبعض العقوبات. وتكرَّر فيها الدعوة إلى عبادة الله والإيمان باليوم الآخر والملائكة والنبيين وما صور الله من الثواب للمؤمنين به وما صور من العقاب الأليم لعصاته الآثمين .

وأسماء السور فى القرآن جميعا توقيفية، نصّ عليها الرسول سورة سورة وأيضا ترتيبها فى المصحف توقيفى، فكل ذلك أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، واتبع أبو بكر وعثمان هذا الترتيب فى مصحفيهما بمنتهى الدقة. وجعلوا البسملة علامة الفصل بين السور فيما عدا سورة براءة فإنها لم توضع فى أولها بمصحف عثمان، وعن ابن عباس سألت عثمان: ما حملكم أن عمدتم إلى سورة الأنفال وإلى سورة براءة فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم، فقال عثمان: "كانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانا يتشابهان فى قصتهما فظننت أن براءة من الأنفال، وقُبض رسول الله ولم يبين لنا موقعها منها، من أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب فى سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتهما فى السور السبع الطوال". وصلى رسول الله يوما بسورة البقرة وتلاها بسورة آل عمران، وقال اقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران وربما جمع بينهما لرعى المناسبة بين السورتين فى الافتتاح بكلمة "ألم" .

ولم يثبت الصحابة فى السور أسماءها بل كانوا يكتفون بإثبات البسملة بين السور، وكتبت أسماؤها باطراد فى عصر التابعين بالمصاحف، وكتبت بخط آخر لتتميز عن القرآن، أما البسملة فكانوا لا يميزون خطها عن خط القرآن .

وغالب السور القرآنية نزل مفرَّقا، ومما نزل مفرقا فى السور القصيرة سورة

اقرأ فقد نزل منها أولا قوله تعالى: (اقرأ) إلى قوله: (ما لم يعلم) ومثلها سورة الضحى نزل منها أولا: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾[1]. ومن أمثلة ما نزل جمعا دفعة واحدة سور الفاتحة والإخلاص والكوثر والبيِّنة والنصر والمعوذتان والمرسلات وسورة الصف. ومنه فى السور الطوال عن ابن عباس سورة الأنعام، وروى صاحب الإتقان ذلك عن ابن عمر، وقيل بل الصحيح أنها نزلت متتابعة متفرقة.

والسورة تشمل مجموعة من الآيات جمع آية، وأصل المعنى اللغوى لها العلامة كما جاء فى سورة البقرة عن طالوت: (إن آية ملكه) أى علامته، واصطلح بها القرآن، على كل ما ألف من ألفاظه من جمل ولو تقديرا مثل آية (مدهامتان) فى سورة الرحمن ومثلها فواتح السور من مثل: (والنجم – والضحى – والعصر) ومثلها بعض الحروف المقطعة المفتتحة بها بعض السور، وهى: الم – المص – كهيعص – عسق – طسم – طه – يس – حم ، ولم يعدوا: الر – آلمر – طس – ص – ق – نون آيات.

وأطول آيات القرآن آية الدَّيْن فى أواخر سورة البقرة، وأقصرها "مدهامَّتان" فى سورة الرحمن كما أسلفنا ومثل "والنجم" مما أقسم الله به. وجمعت الآية فى القرآن مرارا فى مثل: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾[2] ومثل: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾[3]. وهى من اصطلاحات القرآن، فلا يجوز أن تسمى بها الجمل التامة والفقر فى إصحاحات التوراة والإنجيل.

---

(١) سورة الضحى الآيات ١ ، ٥.

(٢) سورة هود الآية ١.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

وتحديد مقادير الآيات من الجمل والألفاظ توقيفى، ولذلك قال الزمخشرى: الآيات علم توقيفى مأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستقر ذلك فى مصحف أبى بكر ومصحف عثمان وعلى ألسنة حفّاظه فى عهد الرسول من مثل عثمان وعلى وزيد بن ثابت وأبىّ بن كعب وعبد الله بن عمر وأبى الدرداء وعبادة بن الصامت وأبى موسى الأشعرى. وحفظ كثيرون من الصحابة أكثره.

وترتيب الآيات فى سورها توقيفى مثل معرفة بدئها ونهايتها، والأصل فى تتابع الآيات فى السورة أن يكون بين السابقة واللاحقة مناسبة ويدل عليها وجود حروف العطف مثل الواو الفاء وبل ولكن، وبالمثل وجود أدوات الاستثناء. وينبغى ألاّ يطلب فى كل آية مناسبتها لما قبلها لأن ذلك قد يتعذر. وربما كان أولى من ذلك البحث فى الآية التالية عن كونها مكملة لما قبلها أولا أو مستقلة، ثم يبحث فى المستقلة عن مناسبتها للآية السابقة لها. ونضرب مثلا لذلك هو قوله تعالى فى سورة البقرة:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1] فإن مناسبة هذه الآية للآية التى قبلها والتى تبشر المؤمنين العاملين للصالحات بما ينتظر لهم من جنات وثمار طيبة وأزواج مطهرة لا تتضح، غير أننا إذا نظرنا فى الآيات السابقة عرفنا أن الله قد أورد فيها مثلا هو قوله: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[2] فرأى أن يتبعه بالرد على من ينكرون أمثاله بالبعوض والعنكبوت وما إليهما من الحشرات الضارة. وبذلك

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧.

تتضح المناسبة بين آية البعوض وما سبقها من آية المستوقد نارا. والمهم أن تكون المناسبة واضحة. ومما يعين على تصورها وفهمها كتب أسباب النزول التى تعنى ببيانها فى نزول الآيات على الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويحسن أن نعرض لوقوف القرآن فى آياته، وهى قطع الصوت عند كلمة فى الآية للتنفس والراحة، ويعود القارئ دائما إلى إكمالها. وهى فى الأصل توقيفية أخذت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بشهادة عبد الله بن عمر القائل: كانت تنزل السورة على محمد فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغى أن يوقف عنده منها.

والوقف فى القرآن أقسام فمنه التام الذى يقع عند نهاية الآية ولا يتعلق بشىء مما بعدها فيوقف عنده ويبتدأ بما بعده مثل قوله تعالى فى فاتحة سورة البقرة: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] وقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2]. وقد يقع التام فى أثناء الآية كما فى أية سورة النمل: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[3] فإن قول بلقيس فى الآية يتم عند قولها: ﴿ أَذِلَّةً ۖ﴾ أما ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فتعليق من كلام الله ولذلك ينبغى الفصل بينه وبين كلام بلقيس بالوقف. وقد لا يصبح الوقف تاما على آية إلا بوصلها بكلمة فى الآية الثانية كما فى آيتى سورة الصافات: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[4] فإن الوقف فى الآية الأولى لا يتم إلا بوصلها بكلمة ﴿وَبِٱلَّيْلِ ۗ﴾ فى الآية الثانية. ومثل ذلك آيتا سورة الزخرف: ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ

(١) سورة البقرة الآية ٥.

(٢) سورة البقرة الآية ٦.

(٣) سورة النمل الآية ٣٤.

(٤) سورة الصافات الآيتان ١٣٧ ، ١٣٨.

وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1] فكلمة ﴿وَزُخْرُفًا﴾ فى أول الآية الثانية تكملة للآية الأولى، والوقف فى الآية الأولى لا يتم بدونها.

ومن الوقف الحسن، وهو الذى يحسن الوقف عنده ولا يحسن الابتداء بما بعده مثل: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] فالوقف عند الله فى قولنا الحمد لله حسن ولا يحسن ابتداء الكلمة بـ ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ لأنها نعت للفظ الجلالة، ولا يجوز الفصل بين النعت والمنعوت.

ومن الوقف القبيح وهو الذى يفسد معنى الكلام مثل: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[3] فلا يحسن الوقف على ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ﴾ ثم يبتدئ الكلام ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ والكفر به واضح.

ومن الوقف الكافى وهو منقطع فى اللفظ موصول فى المعنى فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده مثل آية ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾[4] ومثل ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[5] فوصلها بالآية بعدها وهى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[6] أولى. والوقوف فى القرآن الكريم مدروسة من قديم، ووضعت لها رموز فى طبعات القرآن الحديثة، وتسجل علاماتها فى نهايات المصاحف تسجيلا دقيقا.

---

(١) سورة الزخرف الآيتان ٣٤ ، ٣٥.

(٢) سورة الفاتحة الآية ٢.

(٣) سورة المائدة الآية ١٧.

(٤) سورة النساء الآية ٢٣.

(٥) سورة الرحمن الآية ٢٦.

(٦) سورة الرحمن الآية ٢٧.

فواصل الآيات

الفواصل جمع فاصلة، وهى الكلمة فى آخر الآية القرآنية، وتقوم فى الآية مقام القافية فى نهاية البيت. وأحكمت مع الآية إحكاما إيقاعيا، بحيث تتسق نغميا مع سياق الآية، سواء منها ما جاء فى الآيات بالسور الطوال والمتوسطة وما جاء فى السور القصار، ولا تسمى قرينة فى الفواصل المسجوعة كما جاء فى السجع العادى، بل يظل لها الاسم الخاص بالقرآن وهى الفاصلة، فهى اسم لنهاية الآيات مسجوعة وغير مسجوعة.

ومن دارسى الفواصل من ارتضى إطلاق السجع والمسجوع على فواصل آيات الجزءين التاسع والعشرين والثلاثين فى القرآن الكريم، ومنهم من أبى ذلك إباء شديدا قائلين إن هناك فرقا واضحا بين المسجوع فى الكلام والمسجوع فى القرآن، لأن السجع عند الكتّاب وفى الكلام يقصد لذاته ثم يتبعه المعنى، أما فى القرآن الكريم فالمقصود أولا المعنى ثم يتبعه اللفظ. وقد أرادوا بذلك قاصدين ألاّ يسمى المسجوع فى القرآن سجعا، حتى لا يختلط بسجع الكهان فى الجاهلية وقد ذمه الرسول حين نطق شخص بكلام مسجوع أمامه – إذ قال له: "أسَجْعٌ كسجع الجاهلية!" منكرا له.

ويمكن أن نوفق بين الرأيين، فنقول إن الفواصل منها مسجوع ومنها غير المسجوع كما يتضح فى فواصل ماعدا الجزءين التاسع والعشرين والثلاثين فى القرآن الكريم. وقسم علماء البديع الفواصل المسجوعة خمسة أقسام: مطرف وفيه تختلف الفاصلتان فى الوزن وتتفقان فى حروف السجع كما فى قوله تعالى بسورة نوح: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[1]

(١) سورة نوح الآيتان ١٣ ، ١٤.

ومنه متواز وفيه تتفق الفاصلتان فى الوزن والحرف النهائى كقوله تعالى فى سورة الغاشية فى وصف الجنة ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾[1] ومنه متوازن وهو أن تتفق الفاصلتان فى الوزن دون الحرف النهائى كما فى نفس السورة: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[2] ومرصَّع وهو أن تتفق الفاصلتان وآيتاهما فى الوزن كما فى آيتى الانفطار ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾[3]. ومنه متماثل وهو أن تتفق الفاصلتان وآيتاهما فى الوزن كما فى سورة الطور فقد بدأت بفواصل مسجوعة، ثم قال تعالى: ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾[4] والفاصلة الثانية منتهية بالراء مثل الفواصل الأولى فى السورة واختلف الحرف الأخير فى فاصلة ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ بينما تتحد كلماتها فى الوزن مع كلمتى الفاصلة التالية. ومن بديع الفواصل المسجوعة ما التزم فيها حرف قبل نهايتها فى الفاصلتين المسجوعتين مثل آيتى سورة التكوير: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾[5] فقد التزم فيها ذكر نون مشددة، ومثلهما آيتا سورة الضحى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾[6] فقد التزمت هاء قبل نهاية الفاصلتين المسجوعتين. وقد يلتزم حرفان كما فى آيتى سورة القلم: ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾[7]. وقالوا: أحسن الفواصل المسجوعة ما تكون قصيرة مثل فواصل سورة المدثر: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ

---

(١) سورة الغاشية الآيتان ١٣ ، ١٤.

(٢) سورة الغاشية الآيتان ١٥ ، ١٦.

(٣) سورة الانفطار الآيتان ١٣ ، ١٤.

(٤) سورة الطور الآيتان ٥ ، ٦.

(٥) سورة التكوير الآيتان ١٥ ، ١٦.

(٦) سورة الضحى الآيتان ٩ ، ١٠.

(٧) سورة القلم الآيتان ٢ ، ٣.

﴿ ٥ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾[1]. وكانوا يستحسنون فى آية الفاصلة المسجوعة الثانية أن تكون أطول من الآية السابقة مثل: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[2] كما استحسنوا أن تكون آية الفاصلة الثالثة أطول من آيتى الفاصلتين المسجوعتين السابقتين كما فى آيات سورة الحاقة: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾[3].

وقال ابن أبى الإصبع لا تخرج فواصل الآيات المرسلة فى ثمان وعشرين جزءاً من القرآن عن أربعة صور هى التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال، والتمكين أن تكون متمكنة فى مكانها مستقرة فى موضعها، ويمكن أن يقال إن جميع الفواصل فى القرآن تتصف بذلك إذ تحلّ فى نهاية الآية غير نافرة ولا قلقة. والتصدير أن يتقدم الفاصلة كلمة من مادتها تؤذن بها مثل آية سورة آل عمران: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[4] وآية سورة الأنعام: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[5]. والتوشيح أن يكون فى أول الكلام ما يستلزم الفاصلة مثل آية سورة يس: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾[6] فإن من يلاحظ ما جاء قبل الفاصلة من انسلاخ النهار من الليل يتوقع أن تكون الفاصلة: ﴿ مُّظْلِمُونَ ﴾ إذ دل بوضوح ما سبق الفاصلة عليها دلالة واضحة. والإيغال وهو ختم الآية بما يدل على المعنى بدون الفاصلة

---

(١) سورة المدثر الآيات ١ ، ٥.

(٢) سورة النجم الآيتان ١ ، ٢.

(٣) سورة الحاقة الآيات ٣٠ ، ٣٢.

(٤) سورة آل عمران الآية ٨.

(٥) سورة الأنعام الآية ١٠.

(٦) سورة يس الآية ٣٧.

مثل: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1] والمعنى يتم فى الآية قبل الفاصلة: ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ إذ المرسلون مهتدون لا شك، غير أن فيه زيادة فى المعنى، وهى الحث على اتباع الرسل. ومن ذلك فاصلة آية سورة النمل: ﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾[2] فإن الفاصلة ﴿ مُدْبِرِينَ ﴾ زائدة على معنى الكلمة السابقة لها: ﴿ وَلَّوْا۟ ﴾ مبالغة فى عدم انتفاعهم بالدعاء.

وعنى بعض الأسلاف من المفسرين والبلاغيين ببيان المناسبة بين الفاصلة فى الآية والمعنى أو المعانى السابقة، كما فى آية سورة الأنعام: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[3] فإن كلمة اللطيف تناسب أول الآية وهو عدم إدراك الناس لربهم وكلمة الخبير تناسب إدراك الله للأبصار. وبالمثل آية سورة هود: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾[4] فإن ذكر العبادة فى الآية يناسب الحلم وذكر التصرف فى الأموال يناسبه الرشد. ومثل ذلك آية سورة الإسراء: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[5]. وقد لا يكون واضحا أن يذكر فى الفاصلة الحلم والمغفرة عقب تسابيح الأشياء. وتعددت الآراء فى المناسبة، فقيل إن الأشياء كلها تسبح ربَّها ولا يعصيه منها شىء بينما أنتم تعصون، لذلك ختمها الله بالحلم والمغفرة، كما جاء فى الحديث النبوى: (لولا بهائم رُتَّع وشيوخ ركَّع، وأطفال رُضَّع لصُبَّ عليكم العذاب صَبًّا)، وقيل

---

(١) سورة يس الآيتان ٢٠، ٢١.
(٢) سورة النمل الآية ٨٠.
(٣) سورة الأنعام الآية ١٠٣.
(٤) سورة هود الآية ٨٧.
(٥) سورة الإسراء الآية ٤٤.

بل التقدير فى الآية: حليما عن تفريط المسبّحين غفورا لذنوبهم، وقيل: حليما عن المخاطبين الذين لا يفقهون تسبيحهم بإهمالهم النظر فى آيات الله الكونية ومعرفة حقه.

وقد يقارنون بين فواصل ثلاث آيات متوالية ليوضحوا السبب فى اختلافها فمن ذلك الفواصل فى أرقام: ٩٧، ٩٨، ٩٩ فى سورة الأنعام، فقد ذكرت الأولى نعمة النجوم والاهتداء بها ليلا مما يقتضى شيئا من العلم فناسبها الختم بالعلم ومعرفته، وأشارت الثانية إلى خلق الإنسان وأطواره فى الرحم وعلى وجه الأرض وموته مما يدعو إلى تفكيره فى ذلك وفى خالقه، فناسب ذلك الفقه والتدقيق فى فهم الأشياء، وذكرت الثالثة نعم الله بالزروع المختلفة للإنسان مما يوجب حمده والاعتراف بألوهيته، ولذلك ختمت بفاصلة الإيمان بالله ووحدانيته.

وعلى شاكلة هذه الآيات الثلاث فى نفس السورة الآيات ذوات الأرقام ١٥١، ١٥٢، ١٥٣ . آيات ﴿ ۞قُلْ تَعَالَوْا ﴾ والآيتان بعدها والآية الأولى تحرِّم الشرك وقتل الأولاد من الفقر وارتكاب الفواحش وقتل الناس غضبا فناسبتها الفاصلة: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وكأنما الذين يأتون هذه المحرمات قد فقدوا عقولهم – والآية الثانية تأمر وصىّ اليتيم أن يصون له ماله وألاَّ يتصرف فيه إلا بما ينفعه ويوصى الناس أن يستوفوا الكيل والميزان بالعدل دون ظلم للبائع أو المشترى، وإذا قالوا شهادة أو غير شهادة فليكن رائدهم العدل ولو كان المشهود له قريبا لهم وناسبت كل هذه الوصايا فاصلتها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾. ويقول الله فى الآية الثالثة إن ما جرى فى الآية الأولى وما أوصى به فى الآية الثانية طريقه المستقيم فاسلكوه". ولذلك ناسب أن تكون فاصلة هذه الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ عقاب الله وعذابه إن تمسكتم بوصاياه ونواهيه الدينية.

واتسع البلاغيون والمفسرون فى دراسة اختلاف الفاصلتين مع ما قبلهما فى آيتيهما ومحاولة معرفة المناسبة التى جعلتهما تختلفان مع اتحاد ما قبلهما فى الألفاظ والمعانى، من ذلك ما جاء فى سورة النساء من قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[1] فقد تكرر فى نفس السورة بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ وتلته فاصلة ثانية مختلفة هى: ﴿ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[2] والسبب فى ذلك أن الآية الأولى نزلت فى اليهود الذين افتروا على الله ما ليس فى كتاب موسى وكتابه: التوراة، ولذلك ناسبتها فاصلتها أدق وأحكم مناسبة لأنهم يرتكبون ويفترون إثما عظيما. أما الآية الثانية فنزلت فى المشركين وضلالهم أشد من ضلال اليهود، ولذلك ناسبتها فاصلتها أدق وأحكم مناسبة. ومثل ذلك ثلاث فواصل توالت فى آيات المائدة ذوات الأرقام ٤٤، ٤٥، ٤٧: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ و ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ و ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ والفواصل الثلاث قبلها جميعا: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾. غير أن من يرجع إلى الآيات الثلاث يجد الأولى فيمن جحد ما أنزله الله من التوراة، كما يجد الثانية فيمن خالف حكما من أحكام الله، ويجد الثالثة فيمن جهل ما أنزل الله من أصل الإنجيل. ومثل ذلك قوله تعالى فى سورة إبراهيم: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[3] وقوله فى سورة النحل: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]. وآية سورة إبراهيم كانت فى سياق وصف الإنسان وما أسبغ الله

---

(١) سورة النساء الآية ٤٨.

(٢) سورة النساء الآية ١١٦.

(٣) سورة إبراهيم الآية ٣٤.

(٤) سورة النحل الآية ١٨.

عليه من النعم، فقال الله إنه يكفرها ولا يشكرها، ففاصلتها واقعة فى موضعها بمنتهى الدقة. أما الآية الثانية فكانت فى سياق وصف الله وإثبات ألوهيته، ولذلك ختمت بفاصلة تحمل صفتين عظيمتين من صفاته التى تتصل بالإنسان وهما غفرانه لذنوبه ورحمته . ومن ذلك آيتا سورتى فُصِّلَتْ والجاثية، ففيهما جميعا: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾[1] والفاصلة التالية لذلك فى سورة فُصلت: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ - والله يقول فى سورة فصلت إن من عمل عملا صالحا فله نفعه ومن أساء فيه فعلى نفسه ضرره ثم يختم الآية بقوله ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ أى أنه عادل فى ذلك عدلا مطلقا. وواضح أن الفاصلة مناسبة لما قبلها مناسبة دقيقة. وآية سورة الجاثية ذكرت بعد آية تتقدم آيتها، وهى قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾[2] أى أيام البعث فهم ينكرونه، ولذلك وجه الله الخطاب فى الآية إليهم قائلا فى ختامها أو فى فاصلتها: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[3] أى للحساب والجزاء خيرا أو شرا. وهى بذلك مناسبة لموضعها فى الآية مناسبة محكمة لما تقدمها من جحود البعث وإنكاره .

وقد تخفى المناسبة بين الفاصلة وما قبلها فى بعض الآيات، ولكن بمعاودة التفكير فيها وفيما قبلها تتضح المناسبة، فمن ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فإن المتبادر إلى الذهن فى فاصلة هذه الآية ألاَّ تكون ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾، وإنما تكون: وهو على كل شىء قدير، إذ هى التى تناسب

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٦.

(٢) سورة الجاثية الآية ١٤.

(٣) سورة الجاثية الآية ١٥.

ما ذكر فى الآية من خلق الله للناس كل ما فى الأرض جميعا وخلقه العظيم لسبع سماوات. وهو ما يبدو فى الظاهر ولكن بالتأمل نعرف أن القدرة تكون نتيجة للعلم، ولذلك عبرت الآية به مع ملاحظة أن الله خلق الأرض وما فيها مما يحتاجه الناس وينفعهم لعلمه به، وخلق السموات مستوية لعلمه السابق بكل ذلك مما يجعل العلم الإلهى فاصلة سديدة للآية .

ومن ذلك آية سورة آل عمران: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] فقد ختمت الآية بفاصلة مشتقة من القدرة الإلهية. وقد يتبادر إلى الذهن أنه أولى بالفاصلة فى الآية أن تشتق من العلم الإلهى السابق لها مباشرة وأن تكون: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2] غير أن من يرجع إلى سياق الآية يرى أنها جاءت فى سياق نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ووعيدهم بالعذاب إن هُم وَالوُهم، ولذلك كانت الفاصلة المناسبة لها أن تشتق من القدرة الإلهية التى تجزى بالعقاب والثواب، ليزدجر المؤمنون وينتهوا عن موالاة الكفار. وفى إجابة عيسى الرسول لربه بآخر سورة المائدة عن سؤال الله له: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3] والآية تنتهى كما هو واضح بفاصلة يظن أنها لا تتناسب مع ما قبلها من قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ وكان المظنون أن تختم الآية بمثل: فإنك أنت الغفور الرحيم، وإذ ذكر عيسى مغفرة الله قبل الفاصلة مباشرة، ومناسبة رحمة الله مع الغفران للذنوب، واضحة. غير أن من يدقق فى وصف الله

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٩.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٩.

(٣) سورة المائدة الآية ١١٨.

بالحكمة التى تجعله يتصرف بالحكمة لمستحقى العذاب فيغفر لهم، يتقبل هذا الوصف لله فى الآية إذ يراه احتراسا من أن يظن أن هذا الغفران ليس من حكمته، والفاصلة – بذلك – مناسبة لما قبلها مناسبة دقيقة. ويجاب بمثل ذلك فى الآيات المماثلة لنفس الآية واختتامها بمثلها فى وصف الله بها لحكمة كما جاء فى سورة الممتحنة: ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]. ومعنى ذلك أن مناسبة الفواصل القرآنية بما قبلها فى الآيات دائما محكمة وملتحمة بها التحاما وثيقا.

(١) سورة الممتحنة الآية ٥.